

"كان رجل من الفريسيين اسمه نيقوديمس، رئيس اليهود. فجاء الى يسوع ليلاً وقال له: "يامعلم نحن نعلم أنك أتيت من الله معلماً، لأنه لا يقدر أحد أن يعمل هذه الآيات، التي أنت تعلمها، ما لم يكن الله معه. فأجاب يسوع وقال له: الحق الحق أقول لك: إن لم يولد أحد ثانيةً، فلا يقدر أن يعاين ملكوت الله. فقال له نيقوديمس: كيف يمكن أن يولد انسان وهو شيخ؟ ... فأجاب يسوع: الحق الحق أقول لك: إن لم يولد أحد من الماء والروح، فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله. إن المولود من الجسد انما هو جسد. والمولود من الروح انما هو روح، لا تعجب من قولي لك، أنه ينبغي لكم أن تولدوا ثانية، فان الروح يهب حيث يشاء، وتسمع صوته، الا أنك لست تعلم من اين يأتي، ولا أين يذهب. هكذا كل مولود من الروح".

التعليم

١. الولادة الثانية

نيقوديمس طلب الى يسوع أن يُريه ملكوت الله. فأجابه يسوع بعبارة يُخيل الى السامع أنها غامضة، وهذه هي: "يجب أن تولدوا مرة ثانية". في الواقع أن حياة الجسد قد ابتدأت بالولادة. ومنذ تلك اللحظة بدأ فينا نشاط الحياة. وصار جسمنا يتحرك، وصرنا نحتاج الى النور والهواء والطعام. وكذلك النفس خُلقت لتحيي، ففي الفردوس قد أفاض الله في نفسي الانسانين الأولين، كما سبق القول، شيئاً من حياته الالهية، فحوّلها، الى ابنين لله، وأصبح الله أباهما المحب. ولكنهما سقطا في الخطيئة. ففقدوا البشر كنز النعمة، ولم يبق لتلك الموهبة الالهية في نفوسهم من وجود. ولم يعودوا منذ تلك الدقيقة أبناء متبنين لله. وصار الناس يولدون بالحياة الطبيعية فقط، وأضحى نفوسهم خالية من النعمة. ولذلك أصبح من الضروري أن تولد النفس ثانيةً ولادة روحية، لتسترد النعمة المفقودة. وهذا معنى كلام يسوع لنيقوديمس: "إن لم يولد أحد ثانيةً، فلا يقدر أن يعاين ملكوت الله. فكأنه أراد أن يقول له: "إن كنت قد وُلدت بالحياة الجسدية، فالآن يجب عليك أن تولد مرةً أخرى. ينبغي لك أن تولد بحياة النعمة. وهذه الحياة أملكها أنا وحدي، وانا الذي أستطيع أن اعطيك اياها".

غير أن نيقوديمس لم يفهم كلام يسوع، فأخذ يسأله كيف يستطيع رجل طاعن في السن مثله، أن يولد مرةً ثانية، ويعود طفلاً مقمطاً، لأنه ظن أن يسوع كان يعني في كلامه الحياة والولادة الطبيعية. عندئذ أوضح يسوع كلامه فقال: "يجب أن تولدوا ثانيةً من الماء والروح القدس".

٢. النفس بعد اعتمادها تشبه بيت القربان

أن تاريخ المعمودية، يجب أن يكون للشباب من أجمل وألذ ذكريات التي يعرفها ويحفظها في حياته الأرضية. فان الثالوث الأقدس يحنو على الطفل المعمد حنو حب: فالآب يختار تلك النفس ابنة له، ويحبها حباً لا حد له، والابن يشركها في حياته الالهية، والروح القدس يدخلها ليسكن فيها سكنى خاصة. وهكذا يحوّل الثالوث الأقدس الذي يتخذه الله ابناً له.

نحن أيضاً قبلنا بوم اعتمادنا هذه الموهبة العظمى. التي بها صرنا أبناء الله. ألا فلنفكر قليلاً: أليس الابن يشبه أباه. لأن دم والده يجري في عروقه؟ والحال أن أبانا هو الله، ونحن في نفوسنا نشبه الله أبانا السماوي، لأن حياته الالهية تسري فيها فنفسنا صورة حية جميلة لله.

لقد ضمنا الله الى صدره ساعة قبولنا المعمودية، وقال لكل واحد منا هذه الكلمات العجيبة، التي أدهشت السماء والأرض بل الملائكة أيضاً: "أنت ابني وأنا أبوك: في نفسك شئ من ذاتي الالهية، لأني وضعت فيها شيئاً من حياتي الالهية. فانا أحبك حباً خاصاً، وسيكون نصيبك عظيمًا، أي أنك سوف تكون معي في ملكوتي".

لقد أظهر يسوع صلاحه الغير المتناهي، يوضعه لنا سر المعمودية لأنه بها يشركنا في حياة النعمة. أي يجعلنا متحدين بالله. كما هو متحد به دائماً، من حيث هو ابنه، وبملاسة النعمة لنفوسنا، تنبعث فيها حياة جديدة، ويملك الله عليها كملك ذي سلطان مطلق. حينئذ يولد الانسان ولادة جديدة، أي ولادة روحية.

٣. عظمة المعمودية وشرفها

الطفل المعمد هو ابن الله وأخ ليسوع المسيح، وهو أيضاً عضو في الكنيسة ووارث للسماء. وقد تكلمنا على كل هذه المزايا في بحثنا عن النعمة. والآن نقول إننا نحصل عليها لأول مرة في المعمودية. واذا أنعمنا النظر في الأمر. رأينا أنها مزايا عظيمة جداً، وأنها لم نستحقها بأعمالنا، إذ ان سلوكنا مع الله كان رديئاً، على أنه تعالى قد طلب منا ضمناً. يوم اعتمادنا، فأعطيناه تلك العهود التي تُعرف بمواعيد المعمودية. فيها وعدنا الله يؤمئذٍ، بفم كفلائنا أي عزابيين (لأننا كنا أطفالاً لا تقوى على التكلم)، أن نعتز بايمان يسوع ونحفظ شريعته، فأكدنا له تعالى باننا سنعيش كابناء محبين وخاضعين له. أي أن نعيش عيشة مسيحية كما يليق باخوة يسوع، لقد كفرنا يومئذٍ بالشيطان أي جردناه وتبرأنا منه، وكفرنا بأعماله وفخفخته أيضاً، أما فخفة الشيطان فهي أباطيل العالم التي تقودنا الى الخطايا.

ولم تربطنا إلتزامات تلك المواعيد ليوم واحد أو لسنة واحدة، بل أنها لا تزال تربطنا الى اليوم. وسنبقى ملتزمين إيفائها مدى العمر، ما دمنا مسيحيين، لأننا إذ صرنا مرةً مسيحيين فسنبقى مسيحيين الى الأبد. فعندما مشعر بان الوصايا الالهية تثقل على كواهلنا، عندما تحاصر التجارب أبواب نفوسنا بشدة. يجب علينا أن نتذكر مواعيد المعمودية. ومن حيث أننا قد ارتبطنا مع الله بوعد. فيجب علينا أن نبرّ في وعدنا مهما، كلفنا الأمر.

موجز اللقاء

١. ابتدأت حياتنا الجسدية بالولادة، ومنذ تلك اللحظة دبت فيها الحياة، وصرنا نتحرك ونحتاج الى النور والهواء والطعام. النفس أيضاً خلفت لتحياء، ولذلك افاض الله في نفس ابوينا الأولين النعمة المبررة، التي بها حصلنا على شئ من الحياة الالهية. ولكن لما سقطنا في الخطيئة، فقدنا هما وتسلمنا كنز النعمة، ولم يعودوا ابنا متبنين لله. فاصبح من

الضروري أن تولد النفس الثانية ولادة روحية، لنسترد النعمة المفقودة. هذا معنى كلام المسيح لنيقودمس: "ان لم يولد أحد ثانية، فلا يقدر أن يعاين ملكوت الله".

الولادة الثانية للنفس هي سر المعمودية.

٢. في المعمودية، الثالوث الأقدس يحنو على الطفل المعمد حنو حب، ويحول نفسه الى مسكن حي له حتى تصبح كأنها "بيت قربان": فالآب يختار نفس المعمد ابنة له". والابن يشركها في حياته الالهية، والروح القدس يسكن فيها سكنى خاصة". نحن أيضاً في يوم اعتمادنا، قبلنا هذه الموهبة العظمى، فصرنا أبناء الله، وصارت نفوسنا شبيهة بأبينا السماوي، بل صورة حية جميلة لله. فلننكر في هذا، ولنقدر هذه النعمة ونحافظ عليها.

٣. الطفل المعمد ابن وأخ ليسوع، وعضو في الكنيسة ووراث السماء. هذه مزايا فريدة، حصلنا عليها دون أن نستحقها بأعمالنا.

وقد طلب الله منا ضمناً يوم اعتمادنا، فابرزنا يومئذ تلك العهود والمواع، المعروفة بمواعد المعمودية. التي بها وعدنا الله أن نعترف بايمان المسيح، ونحفظ شريعته، ونكفر بالشيطان وأعماله وفخفته.

نعم، أننا كنا أطفالاً يومئذ، لا تقوى على التكلم. لكن كفلاءنا وعدوا بالنيابة عنا. ونحن ملزمون بايفاء وعودنا دائماً، أي في حياتنا، لأن تلك المواعد لم تربطنا ليوم واحد، أو لسنة واحدة، ولكنها ربطتنا مدى العمر.

الفائدة العلمية للحياة

يظن بعض الشبان أن المعمودية سر قد انتهى أمره، أي أن لا حاجة الى التفكير فيه بعد قبوله، اذ لم تبق لهم مصلحة به. أن هذا لخطأ جسيم، لأن مفاعيل سر المعمودية حاضرة يومياً في حياتنا. ويجب علينا أن نتذكر ذلك بنوع خاص، عندما يحاول الشيطان أن يسقطك في الخطيئة ويجعلك تهين الله. عندئذ ردد في ذهنك الرعوده التي أبرمتها في يوم معموديتك قائلاً: "أني أكفر بالشيطان وأعماله وأباطيله".

خلاصة اللقاء بالاسئلة

ما اسم الفريسي الذي التقى يسوع ليلاً؟ ماذا قال يسوع؟ هل كان يسوع يعني الولادة الجسدية مرة ثانية؟ كيف كانت حالة أبونا الأولين قبل سقوطهما في الخطيئة؟ وكيف أصبحت بعد خطيئتهما؟ لماذا يجب علينا أن نولد ثانية؟ بم تقوم هذه الولادة الثانية؟ لماذا تكون نفس الطفل المعمد شبيهة بيت قربان حي؟ كيف يصبح الانسان بقبوله سر المعمودية؟ ماذا طلب الله منا في المعمودية؟ من هم الذين وعدوا بالنيابة عنا؟ ماذا وعدنا في المعمودية؟ كيف كفرنا بالشيطان في المعمودية؟ ما المراد بأعمال الشيطان واباطيله؟ من يقبل المعمودية بم يلزم نفسه؟ متى يجب علينا أن نتذكر مواعد المعمودية؟

١_ ماذا يلزم من يقبل المعمودية؟ يلتزم من يقبل المعمودية:

(١) أن يؤمن بيسوع المسيح، ويحفظ شريعته المقدسة بأمانة.

(٢) أن يكفر بالشیطان وأعماله ومفاخره.

٢_ ماذا تفهم بأعمال الشيطان وإيهته؟

أفهم "بأعمال الشيطان وإيهته": الخطايا، ولذات العالم وأباطيله مبادئه الزائفة المضادة للانجيل.

من أقوال الكتاب المقدس

- أجاب يسوع (نيقودمُس): "الحقَّ الحقَّ أقول لك: إن لم يولد أحد من الماء فالروح، فل يقدر أن يدخل ملكوت الله". (يوحنا ٣: ٥).
- قال الرب يسوع: "مَن آمن واعتمد يُخلص" (مرقس ١٦ ، ١٦).
- كلمَّ يسوع تلاميذه قائلاً: "اذهبوا وتلمذوا كل الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس". (متى ٢٨ : ١٩).
- "إن كل مَن اصطبغ (اعتمد) منا في يسوع المسيح، اصطبغ في موته... حتى أننا كما أقيم من بين الأموات، بمجد الآب، كذلك نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة".
- "أنتم جملةً من اعتمدتم في المسيح، قد لبستم المسيح". (غلاطية ٣: ٢٧).

نشاطات

١. ارسم مشهد التقاء يسوع لنيقودمس، وشرح بكلامك المحاوره التي دارت بينهما ومعنى أجوبة يسوع السديده.
٢. فكر في واعد معموديتك، وانثى في دفترك بعض الأفكار الدالة على وجوب الكفر الحقيقي بالشیطان وأعماله وأباطيله. واذكر بعض أمثلة على أعمال الشيطان وأباطيله، التي تراها في حياة شاب من جيلك.
٣. أن العناصر المادية التي تستخدم في حالة العماد هي: جرن المعمودية والماء والملح والزيت والنفخ في وجه الشخص المراد تعميده ووضع يدي الكاهن على رأسه والثوب الأبيض والشمعة المضيئة وإذا تعني كل هذه الأشياء في الحياة المسيحية؟
٤. أنت تعلم كيف دخل الروح القدس قلبك، وكيف صار ضيف نفسك العزيز جداً، فمن أجمل ما يمكنك تصوره أن تمكث قليلاً في مخاطبته بكلام عذب. اكتب ذلك في دفترك بشكل مذكرات شخصية.

وصف حفلة العماد

انظر الى ذلك الطفل المحمول على ذراعي عرابه أو عرابته، عند باب الكنيسة أنه ليس مسيحياً، ومن ثم لا حق له أن يدخل الكنيسة، هنالك على باب الكنيسة تجري محاوراة بين الكاهن والطفل بلسان عرابه وعرابته.

في المحاوراة يسأل الكاهن الطفل: ماذا تطلب من كنيسة الله؟ فيجيب: "اطلب الايمان ومع الايمان اطلب الحياة الأبدية". عندئذ ينفخ الكاهن ثلاث مرات في وجه الطفل، ويتلو صلاة "التعظيم" على الشيطان قائلاً: اخرج من هذا الطفل أيها الشيطان النجس، وأخل المحل للروح ويرسم الكاهن إشارة الصليب على جبين الطفل وعلى صدره، ثم يمد يده نحو الطفل مصلياً، ويأخذ قليلاً من الملح المبارك ويضعه على شفتي الطفل، لأن الملح يرمز الى الحكمة المسيحية. وبعد ذلك ينطق مرة أخرى بالتعزيات ضد الشيطان، مذكراً اياه بالحكم الذي أصدره الله عليه. ويحين الوقت الذي يستطيع فيه الطفل أن يدخل أخيراً هيكل الله، بعد ما خرج منه الشيطان الذي كان يدعى مخلوق له على الطفل، بسبب الخطيئة الأصلية. فيضع الكاهن طرف بطرشيته البنفسجي على الطفل ويدخله الكنيسة، بينما يتلو العراب نيابة عن الطفل قانون الايمان أي "نؤمن باله واحد..." والصلاة الربية "أبانا الذي..."

ويعود الكاهن فيأمر الشيطان باسم الله، أن يغادر نفس الطفل التي ستصير عما قليل هيكلًا حيا لله. ثم يلمس باهنامه المبللة بريقه أذني الطفل ومنخره، ويسأله: "هل تكفر بالشيطان وبأعماله وأباطيله". وبعد ذلك يمسح الزيت الموعوظين صدره وما بين كتفيه، ويطلب منه بواسطة عرابه أن يعترف بايمانه. هنا يعمد الطفل: فيسكب الكاهن الماء على رأس الطفل المحمول على ذراعي العراب أو العرابة، قائلاً في الوقت نفسه كلمات الصورة. ويدهن قمة رأسه بزيت الميرون المقدس، ويلبسه ثوباً أبيض، وهو رمز الى النعمة التي أصبحت منذ تلك الدقيقة، تزين نفسه. ثم يضع في يد الطفل أو بالأحرى في يد العراب شمعة مضيئة، تشير الى فضيلة الايمان التي أفيضت ساعتئذ في نفس الطفل المعمد، وهنا ينتهي طقس سر المعمودية.

نعمان السوري يطهر من برصه باغتساله في نهر الأردن

الخطيئة الأصلية برص روجي يصيب النفس، فيجعلها في عيني الله وموضع سخطه ويجردها من كل جمالها وقوتها، ويحرمها السعادة الأبدية ويجعلها اسيرة الشيطان، سر المعمودية يطهر النفس، ويرد لها جمالها وقوتها المفقودين، والحق على الميراث السماوي، ويخرجها من سلطة الشيطان.

نقرأ في سفر الملوك الرابع (ف ٥ ع ١_١٥) من كتب العهد القديم، حادثة شفاء "نعمان السوري" من برصه، حالما اغتسل في مياه نهر الأردن. تلك المياه كانت ترمز الى مياه المعمودية التي تطهر النفس من برصها الروحي، أي من الخطيئة الأصلية. وهذه هي الحادثة فأقرأها بتأن: "كان نعمان، رئيس جيش ملك آرام رجلاً عظيماً عند سيده، مكرماً لديه، لأنه على يده أجرى الرب خلاصاً لأرام. وكان الرجل جبار بأس، وكان له برص. وان قوم آرام خرجوا غازين فسبوا من أرض اسرائيل فتاة صغيرة، فكانت بين يدي زوج نعمان. فقالت لمولاتها: يا ليت مولاي حضر أمام النبي الذي في "السامرة" فإنه كان يبرئه من برصه. فجاء

وحكى لسيده وقال: كذا وكذا قالت الفتاة التي من أرض اسرائيل. فقال ملك آرام: انطلق ذهبًا، وأنا أرسل كتابًا الى ملك اسرائيل.

فانطلق وأخذ معه قناطر من الفضة، وسة آلاف مثقال ذهب، وعشر حلل من الثياب. وأخذ كتابًا الى ملك اسرائيل يقول فيه: عند ورود كتابي هذا اليك، موجهًا مع نعمان عبدي، تبرئه من برصه، فلما قرأ ملك اسرائيل الكتاب شق ثيابه وقال: ألعلي أنا اله أميت وأحي، حتى أرسل الي هذا أن أبرئ رجلاً من برصه؟ اعملوا وانظروا أن هذا انما ينسب علي. فلما سمع "أليشاع" رجل الله، بأن ملك اسرائيل قد مزق ثيابه، بعث الى الملك قائلاً: لماذا مزقت ثيابك؟ ليأني وليعلم أن في اسرائيل نبياً. فأقبل نعمان بخيله مراكبه، ووقف على باب بيت أليشاع. فبعث اليه اليشاع رسولاً يقول له: امض واغتسل في الأردن سبع مرات، فيعود اليك لحمك وتطهر. فاستشاط نعمان غيظاً ومضى وهو يقول: كنت أحسب أنه يخرج ويقف، ويدعو باسم الرب الهه، ويردد يده فوق الموضع ويبرئ الأبرص. أليس "أبانة وفرفر" نهرًا دمشق خيرًا من جميع مياه اسرائيل؟ أهلا اغتسل فيهما واطهر؟ وانصرف راجعًا وهو مغضب. فتقدم اليه عبده وخاطبوه وقالوا؟ يا أبانا، لو خاطبت النبي بأمر عظيم أما كنت تفعله؟ فكيف بالحري وقد قال لك اغتسل واطهر؟ فنزل وانغمس في الاردن سبع مرات، كما قال رجل الله، فعاد لحمه كلحم صبي صغير وطهر، فرجع الى رجل الله هو وجميع موكبه، واتى ووقف يديه وقال: هانذا قد عملت أن ليس في الأرض كلها اله، الا في اسرائيل.